دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

النزاع على السلطة بين الدولة البويهية والخلافة العباسية
في الربع الأخير من القرن (الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)

عطا الله الرواشدة
مرشح للدكتوراه
معهد الأبحاث الاجتماعية
جامعة كوجايلي الحكومية – الجمهورية التركية

مُلَخّص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على طبيعة العلاقة بين البويهيين والخلافة العباسية في الفترة الممتدة (٣٧٥-٤٠١هـ /٩٨٦-١٠١٠م)، التي اتسمت في غالبها بالصراع على السلطة؛ حيث عملت الدراسة من خلال المنهج الوصفي والاستقرائي على استعراض الروايات التاريخية ومحاولة تحليلها ونقدها للوصول إلى صورة شاملة يمكن من خلالها فهم طبيعة العلاقة بين دار المملكة ودار الخلافة خلال فترة البحث. ناقشت الدراسة بشكل أساسي علاقة الملك بهاء الدولة البويهي (٣٧٩-٤٠٣هـ /٩٨٩-١٠١٢م) بالخليفة الطائع بالله (٣٦٣-٣٨١هـ/٩٧٣-٩٩١م) وأهم ملامح هذه العلاقة التي انتهت بعزل الخليفة. ثم تناولت الدراسة علاقة الملك بهاء الدولة بالخليفة القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣٠م) وأسباب اختياره لمنصب الخلافة لاحقًا. وأخيرًا ناقشت الدراسة محاولات الملك البويهي بهاء الدولة للسيطرة على سلطات ورمزيات الخلافة العباسية، وموقف الخلافة العباسية من هذه المحاولات. خلُصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج: (سيطرت الدولة البويهية ممثلة بالملك بهاء الدولة بشكل كامل على مؤسسة الخلافة، وتمثّل ذلك في نهاية الأمر بخلع الخليفة الطائع لله وإلحاق الضرر الجسدي والنفسي به. تعيين خليفة غير متوقع ووفق أهواء السلطة البويهية، ومحاولة التدخل من جديد في صلاحياته وسيادة مؤسسته الدينية والدنيوية. تمكّن الخليفة الجديد القادر بالله من استرجاع العديد من رموز مؤسسة الخلافة المسلوبة، ومحاولة فتح قنوات للحوار والعلاقات على الصعيد الداخلي والخارجي، التي بالفعل نجحت من خلال صده للخطر الفاطمي، وارتباطه بعلاقة جيدة مع حاكم خراسان ابن سبكتكين).

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٤ يوليو ٢٠٢٢
تاريخ قبـول النشـر: ٢٩ أغسطس ٢٠٢٢

كلمات مفتاحية:

آل بويه؛ الدولة البويهية؛ الخلافة العباسية؛ دار الخلافة؛ رموز الخلافة

معرّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2022.296834

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

عطا الله الرواشدة. "النزاع على السلطة بين الدولة البويهية والخلافة العباسية في الربع الأخير من القرن (الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)".- دورية كان التاريخية.- السنة الخامسة عشرة- العدد السابع والخمسون؛ سبتمبر ٢٠٢٢. ص ٤٠ – ٥٣.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Corresponding author: atalla.rawashdeh@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّاريْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

تعتبر فترة حكم البويهيين[1] علامة فارقة في التاريخ الإسلامي (غضبان، ٢٠١٤، ص١١١-١٢٤؛ البلوشي، ٢٠٠٤، ص٨٩ ؛ Lewis, Gibb, II/189, VI/1350)؛ بسبب الصورة التي رسمت من خلالهم لمؤسسة الخلافة، فقد كان البويهيون يعتبرون شخص الخليفة إحدى العراقيل التي قد توقف توسعهم أو تهدد وجودهم وسلطتهم؛ حيث مارسوا عليه كافة أشكال الضغط والتهميش للحد من صلاحياته وتحقيق طموحاتهم، فبعد دخول البويهيين إلى بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، بدأت مرحلة جديدة من مراحل التاريخ الإسلامي، تميزت بخصائص جديدة، لعل أبرزها تفويض الخليفة لسلطته الدنيوية لصالح أمير الأمراء البويهي[2] (ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٨، ص٢٢٢، ٢٨٣، ٤٥٢ ؛ الدوري، ٢٠٠٧، ص١٨٢-١٨٣)، وتحويل منصب إمرة الأمراء إلى نظام وراثي في الأسرة البويهية، والسيطرة على أملاك الخليفة وأمواله، وإحلال راتب يومي للخليفة مكانها، سرعان ما استبدل بإقطاعات تعادله في أيام معز الدولة البويهي، ولم يكتف الأمراء البويهيون بكل ذلك؛ بل شاركوا الخليفة العباسي في مظاهر سيادته، فخطبوا لأنفسهم على المنابر بعد اسم الخليفة، وضربوا الطبول على أبوابهم في أوقات الصلاة، بالإضافة إلى ضرب أسماءهم على النقود إلى جانب اسم الخليفة (القيسي، ٢٠٠٢، ص٢٥٨-٢٦٢)، وألغوا عمليًا منصب الوزارة التابع للخلافة (ابن موصلايا، ٢٠٠٣، ص٦٩ ؛ الدوري، ٢٠٠٧، ص١٨٤-١٨٥ ؛ صدّيقي، ٢٠٠٧، ص٦٧ وما بعدها ؛ Kraemer, 1986, p37-39)، وأبقوا للخليفة كاتبًا يشرف على إقطاعه، بينما انفرد البويهيون بتعيين وزراء لهم، وكانت من أهم أعمالهم التي ساعدتهم على تحقيق ذلك كثرة محاولاتهم تخريب جهاز المعلومات الأول لمؤسسة الخلافة ألا وهو البريد؛ الذي قطعه البويهيون أخيرًا بقصد إخفاء المعلومات التي قد تضرهم أو تبطل مخططاتهم إذا ما وصلت دار الخلافة (القلقشندي، ج١٤، ص٤١٤).

أصبح الخليفة في العهد البويهي من حيث الوظيفة أقرب إلى الإمام؛ حيث يدير بشكل جزئي شؤون الدولة وولاياتها الدينية فقط، وبالمقابل أصبحت الشؤون الدنيوية سواء أكانت عسكرية أم إدارية أم اقتصادية تدار ككل من قبل الحكام البويهيين، وبهذا نلحظ ازدواجية السلطة في عاصمة الخلافة العباسية ببروز مؤسستين في ذلك العهد تتمثل الأولى بدار المملكة، والثانية بدار الخلافة (ابن الموصلايا، ٢٠٠٣، ص٦٩-٧١ ؛ طلفاح، ٢٠٠٦، ص٢٠٤-٢٠٥ ؛ Lewis, VI, P1352-p1353.)، ومن الجدير بالذكر أن الخلفاء العباسيين لم يعد لديهم أي مقدرة على الدفاع عن أنفسهم أمام مؤسسة دار المملكة التي أفقدتهم حقهم بولاية العهد، والاحتجاب وغيرها، حيث وصل الأمر بأن تم خلعهم من مناصبهم واستبدالهم بآخرين (أبو شجاع، ٢٠٠٠م ، ج٧، ص٢٤١-٢٤٢ ؛ التائب، ٢٠١٦، ص٩٨-١٠٨).

تعتبر السنوات الأولى من الربع الأخير للقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أحد أكثر فترات الحكم البويهي اضطرابًا، حيث أنها مليئة بالصراع بين الأخوة المتمثل بتولي إمارة بغداد، الأمر الذي لم يتح لنا إيجاد معلومات واضحة في المصادر التاريخية لأحوال مؤسسة الخلافة التي وقفت على ما نعتقد موقف حياد حينها، حيث ركزت جل المصادر التاريخية على تفاصيل الصراع من أجل منصب إمرة الأمراء في بغداد بين أبناء الملك أبو شجاع عضُد الدولة ت٣٧٢هـ/٩٨٣م (انظر حوله: ابن خلكان، ج٤، ص٥٠ ؛ الزواهرة، ٢٠١١ ؛ Kabir, 1964, p42-68) صمصام الدولة أبو كاليجار مرزبان ابن عضد الدولة ت٣٨٩هـ/٩٩٩م (أبو شجاع،٢٠٠٠، ج٧، ص١٩٥-١٩٦ ؛ النويري، ٢٠٠٢، ج٢٦، ص٢٣٠-٢٣٣ ؛ خواندمير، ١٩٨٨، ص١٩٦-١٩٧)، وشرف الدولة أبو الفوارس، شيرزيل ابن عضد الدولة ت٣٧٩هـ/٩٨٩م(ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٨، ص٤٧٧ ؛ النويري، ٢٠٠٢، ج٢٦، ص٢٣٣ ؛ الذهبي، ١٩٨٥، ج١٦، ص٣٨٤ ؛ الصفدي، ٢٠٠١، ج١٦، ص١٢٨ ؛ العيني، ص٨٩أ ؛ خواندمير،١٩٨٨، ص١٩٥-١٩٦؛ Kabir,1964, p69-76)، من ثم بهاء الدولة أبو نصر فيروز الذي يعتبر أهم الشخصيات البويهية في فترة البحث.

تولى بهاء الدولة السلطة في بغداد عام ٣٧٩هـ/٩٨٩م، وكانت مؤسسة دار الخلافة قد وصلت لأسوء أحوالها، وسلبت منها العديد من الصلاحيات، حيث لم تعد دار الخلافة في نهاية الأمر عنصرًا مؤثرًا على الأحداث في الدولة. لم تشهد بدايات تلك الفترة أي محاولة لإنعاش هذه المؤسسة أو المحاولة لاستعادة حقوقها المسلوبة، بل على العكس؛ بقي بهاء الدولة يمارس سلطاته الملكية وتعدياته على الخلافة قرابة الثلاث سنوات؛ حيث عمل بهاء الدولة على خلع الخليفة الطائع لله واستبداله بشخص آخر وهو القادر بالله، فكان هذا الفعل تمثيلاً واضحًا لما للحال التي وصلت له هذه المؤسسة.

بدأت فعليًا بوادر النهضة في مؤسسة دار الخلافة عند تولي الخليفة القادر بالله للسلطة؛ حيث شهدت فترة تولّيه للخلافة معارضة واضحة لبعض قرارات بهاء الدولة، أضف إلى ذلك أن القادر بالله سعى جاهدًا لاستعادة حقوق الخليفة التي سلبت منه على يد البويهيين، فقد اتسمت شخصية القادر بالله بالكثير

من الصفات الحميدة التي جعلت منه ندًّا قويًا لدار المملكة ممثلة ببهاء الدولة، وورثة العرش البويهي من بعده.

أولاً: أوضاع الخلافة العباسية في ظل حكم البويهيين، وطبيعة العلاقة بين الملك البويهي وشخص الخليفة

١/١-علاقة الملك البويهي بهاء الدولة بالخليفة الطائع لله

الخليفة الطائع لله هو الخليفة الرابع والعشرين من خلفاء بني العباس (انظر ترجمته: الخطيب البغدادي، ٢٠٠١، ج١٢، ص٣٥٩ ؛ ابن الكازروني، ١٩٧٠م، ص١٩١-١٩٣ ؛ النويري، ٢٠٠٢، ج٢٣، ص٢٠٢ ؛ الذهبي، ١٩٨٥، ج١٥، ص١١٨؛ ابن شاكر، ١٩٧٤، ج٢، ص٣٧٥ ؛ العيني، ص٩٣ب)، ولي الطائع لله الخلافة بعد أن عزل والده المطيع لله في الثالث عشر من ذي القعدة/تشرين ثاني سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م؛ بسبب خلاف بين الديّلم والترك؛ حيث أجبر المطيع لله على التنازل راضيًا عن الخلافة ووضع ابنه عبد الكريم الطائع لله في الخلافة مكانه (الخطيب البغدادي، ٢٠٠١، ج١٢، ص٣٥٩ ؛ الصفدي، ٢٠٠١، ج٢٤، ص٢٣؛ متز، ١٩١٤، ج١، ص٢٢-٢٣)، وكان عمر الطائع لله ثمانية وأربعين عامًا، حيث عدّه المؤرخون أكبر من تولّى الخلافة عمرًا، وأول من تولّاها بحياة الخليفة السابق له (الخطيب البغدادي، ٢٠٠١، ج١١، ص١٧٩؛ النويري، ٢٠٠٢، ج٢٣، ص٢٠٢ ؛ العيني، ص٩٣ب)، كان للخليفة الطائع لله ولد واحد وهو أبو الفتح عبد الوهاب، وقد توفي في وقت مبكر ٣٧٧هـ/٩٨٧م ، مما جعل الخليفة الطائع لله بلا وريث من نسله (ابن الكازروني، ١٩٧٠،ص١٩٥). كان أقرب الشخصيات من الطائع لله ومأمن سره الوحيد خادمه وسفيره أبو الحسن دجى بن عبد الله الملقب بالخادم الخصي (الخطيب البغدادي، ٢٠٠١، ج٩، ص٣٧٢).

شغَل الخليفة الطائع لله منصب الخلافة قرابة السبع عشرة عامًا ونصف (الخطيب البغدادي،٢٠٠١، ج١٢، ص٣٥٩)، اتسمت في أغلبها بالضعف بالرغم من وجود شخصيات جيدة من حوله كما تصف المصادر التاريخية[٣](ابن الكازروني، ١٩٧٠، ص١٩٥). واكب الطائع لله خلال فترة خلافته في بغداد خمسة من ملوك بني بويه، كان أولهم الملك أبو منصور عز الدولة بختيار ٣٥٦-٣٦٧هـ/٩٦٦-٩٧٧م (ابن خلكان، ج١، ص٢٦٧؛ Kabir,1964, p15- 39) ، الذي تزوج الطائع لله من ابنته شاه زنان (ابن خلكان، ج١، ص٢٦٧-٢٦٨) أو كما في رواية أخرى شهناز(الذهبي، ١٩٨٥، ج١٥، ص١١٩) سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م، وتبعه بعد ذلك الملك عضد الدولة الذي سيطر على بغداد في شوال/تشرين أول سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م، حيث قضى الأخير على أخيه عز الدولة بختيار هناك، وحاول استمالة الخليفة الطائع لله من خلال تزويجه من ابنته مضافةً لابنة عز الدولة بختيار(ابن الكازروني، ١٩٧٠، ص١٩٢-١٩٣). اتسمت علاقة عضد الدولة بالخليفة الطائع لله ببعض الاحترام أكثر من غيره من الأسرة البويهية (حول تلك العلاقة: ابن الكازروني، ١٩٧٠، ص١٩١-١٩٣؛ الذهبي، ١٩٨٥، ج١٥، ص١١٨-١٢٤؛ الزواهرة، ٢٠١١، ص٥٢)، وتلا عضد الدولة في العراق بعد وفاته الملك صمصام الدولة، إلى أن طُرد على يد أخيه شرف الدولة سنة ٣٦٧هـ/٩٨٦م (الذهبي، ١٩٨٥، ج١٥، ص١٢٤؛ خواندمير، ١٩٨٨، ص١٩٦-١٩٧)، حيث حلّ مكانه الملك شرف الدولة في العراق حتى توفي سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م (الذهبي، ٢٠٠٣ ، ج٨، ص٣٥١)، وكان آخر من عاصره الخليفة الطائع لله من ملوك آل بويه هو الملك بهاء الدولة الذي أنهى سلطته الفعلية بالخلافة، حيث قام بعزله من منصب الخلافة وتهميشه، وبقي على هذا الحال إلى أن توفي سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م (ابن حمدون، ج١٢، ص١٤٢أ ؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص١٧٥) أي بعد عزله بأحد عشر عامًا.

كان أول تعامل رسمي بين الملك بهاء الدولة والخليفة الطائع لله عند وفاة الملك شرف الدولة؛ حيث أوصى شرف الدولة بالحُكم لأخيه الأمير أبو نصر بهاء الدولة؛ فقام الطائع لله بمراسلة الأمير بهاء الدولة ليبلغه حزنه بالفقيد شرف الدولة، بدأت العلاقة ترتسم بعد هذه الحادثة؛ حيث قابل الطائع لله الأمير بهاء الدولة لتعزيته شخصيًا (أبو شجاع، ٢٠٠٠، ج٧، ص١٨٢-١٨٣)، وبعد أن انتهت مراسم العزاء ذهب بهاء الدولة في زيارة إلى حضرة الطائع لله بهدف توثيق الصلة فيما بينهم، وكسب الشرعية ليحل مكان شرف الدولة بشكل رسمي (أبو شجاع، ٢٠٠٠، ج٧، ص١٨٢؛ ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٨، ص٤٧٨ ؛ سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٣٦)، وبالفعل تمت المراسم، وخلع الخليفة الطائع لله على الأمير بهاء الدولة، ولقبه ببهاء الدولة وضياء الملة (الذهبي، ٢٠٠٣، ج٨، ص٣٥١).

قرأ مرسوم توليت بهاء الدولة أبو الحسن علي بن عبد العزيز ابن حاجب النعمان كاتب الطائع لله (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٩، ص٢٣٤؛ ياقوت الحموي، ١٩٩٣، ج٤، ص١٨٠٦)، حيث أكد على وصايا الطائع لله لبهاء الدولة قبل تبليغه بالموافقة على توليته، وقد تمثّلت هذه الوصايا بأن يُحسن السيرة مع الجند والعامة، وأن يتّبع نهج أبيه عضد الدولة في الحكم (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٣٦؛ الذهبي، ٢٠٠٣، ج٨، ص٣٥١)، وبهذا تولّى بهاء الدولة وضياء الملة الحكم في بغداد، وباشر بترتيباته الإدارية في الدولة على هذا الأساس.

امتدت العلاقات بين مؤسسة الخلافة والملك بهاء الدولة قرابة العامين دون أي إشارة لنوايا السوء من كلا الطرفين حتى دخل عام ٣٨٠هـ/٩٩٠م؛ حيث كان لهذا العام خصوصية كبيرة في الأحداث؛ ففيه كما يصف لنا سبط ابن الجوزي في كتابه كانت بداية التغيّر الملموس في معاملة بهاء الدولة للخليفة الطائع لله (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٤٥).

٢/١-أسباب عزل الخليفة الطائع لله

يعتبر عزل الخليفة الطائع لله عام ٣٨١هـ/٩٩١م (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٨، ص٤٨٧؛ ابن الكازروني، ١٩٧٠، ص١٩٤؛ النويري، ٢٠٠٢، ج٢٣، ص٢٠٤؛ الذهبي، ٢٠٠٣، ج٨، ص٥٠٥)[٤] من أبرز الأحداث غير المتوقعة والمفصلية في سيرة الدولة البويهية؛ حيث لم تشر المصادر لأي إرهاصات تدلل على هذا الأمر، كما أنها لم تشر إلى أي توتر سابق في العلاقة بين الطائع لله وبهاء الدولة. وأولى الإشارات لدينا هو ما قامت بعض المصادر التاريخية برصده من حاجة الملك بهاء الدولة للأموال؛ وذلك بسبب صراعاته الداخلية التي أدت لشغب الجند عليه؛ لعدم قدرته على تزويدهم بما يطمحون إليه من أموال، حيث كانت نتيجة ذلك التوتر أن أشار أكبر مستشاري بهاء الدولة أبو الحسن المعلم عليه بخلع الخليفة الطائع لله (أبو شجاع، ٢٠٠٠، ج٧، ص٢٤١ ؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٧٩؛ ابن الكازروني، ١٩٧٠، ص١٩٤) ليكون الخلع ذريعة للسيطرة على أمواله وممتلكاته، ونهب ذخائر القصور العباسية من جهة؛ وحتى يتسنى لبهاء الدولة تعويض العجز المالي لديه وتغطية مطالبات الجند من الجهة الأخرى.

تربط إحدى الروايات التاريخية سبب خلع الطائع لله بأمر يتعلق في البروتوكول وآداب المعاملة، حيث اتخذ الملك بهاء الدولة من تقصير الطائع لله بتأدية واجب العزاء بحقه عند وفاة أحد أبناءه في نفس العام ذريعة لخلعه (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٤٩)؛ وهذا برأينا وإن صح؛ فإنه قد يكون سببًا اتخذه بهاء الدولة للتعتيم على السبب الحقيقي وهو الحاجة للمال.

نعتقد أيضًا بأن للأمير مهذب الدولة صاحب البطيحة دور مباشر في عزل الطائع لله، فقد استقبل مهذب الدولة الأمير القادر بالله بعد فراره من الطائع لله بسبب خلاف وقع بينهما سنذكره لاحقًا، حيث قام مهذب الدولة حينها بمراسلة بهاء الدولة ليعلمه بمقدار الظلم الواقع على القادر بالله، مطالبًا إياه برفع هذا الظلم عنه وإعادة الحق إليه بالطريقة التي يراها مناسبة (سبط ابن الجوزي، ٢٠٠٣، ج١٨، ص٤٩)، وبطبيعة الحال لا يمكن للملك بهاء الدولة أن يرفض مثل هذا الطلب من مهذب الدولة؛ الذي سبق أن أقرضه المال ووقف إلى جانبه في أول عهده بالسلطة، حيث كان للمساعدات المالية التي يقدمها مهذب الدولة الدور الكبير في تفوق بهاء الدولة خلال صراعاته مع صمصام الدولة (أبو شجاع،٢٠٠٠، ج٧، ص٢٩٩-٣٠٠، ٣٠٤-٣٠٥ ؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص١٠٣-١٠٤)، أضف إلى ذلك وجود صلة المصاهرة القوية التي تربطهما ببعضهما، حيث تزوجت ابنة بهاء الدولة من مهذب الدولة، وتزوج أبو منصور بويه ابن بهاء الدولة من ابنة مهذب الدولة، فكان بذلك أكبر نموذج للزواج السياسي بين قوتين في تلك الفترة (أبو شجاع، ٢٠٠٠، ج٧، ص٣٠١ ؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص١٠٥؛ الذهبي، ٢٠٠٣، ج٨، ص٥١١؛ العيني، ص٩٧ب)

وبهذا يمكننا إجمال أسباب خلع الطائع لله بما يأتي:

- عجز موازنة بهاء الدولة وشغب الجند عليه؛ في الفترة التي يمتلك فيها الطائع لله المال.
- رأي مهذب الدولة في الخلاف بين الطائع لله والقادر بالله.
- رغبة بهاء الدولة بالقضاء على شخص الخليفة، ليتسنى له استبدالها بشخصية أكثر ضعفًا وانصياعًا لتحقيق أهدافه، ونحن نتفق بهذا الطرح مع المؤرخ سبط ابن الجوزي (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٤٩).
- تشجيع حاشية بهاء الدولة له على خلع الخليفة ومصادرة أمواله.

تظافرت بذلك الأسباب لتكون ساعة الحسم بشأن خلافة الطائع لله، التي بحلول عام ٣٨١هـ/٩٩١م كانت قد انتهت بالقبض عليه، حيث أرسل له الملك بهاء الدولة بأنه يوّد القدوم إليه لمناقشته بالأمور العامة ولتجديد البيعة له، فما كان من الخليفة الطائع لله إلا الموافقة والجلوس له (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٨، ص٤٨٧؛ ابن الكازروني، ١٩٧٠، ص١٩٤؛ العيني، ص٩٣أ+ب)، فدخل بهاء الدولة إلى حضرة الطائع لله وأظهر احترام تلك الحضرة حينها، ثم تقدم نحو الخليفة أحد خواص بهاء الدولة للسلام عليه، فما أن مد الطائع لله يده للسلام حتى شُدَّ بقوة عن كرسيه وطرح أرضًا (ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٧٩-٨٠)، وعمّت في تلك اللحظة الفوضى في أرجاء المكان، والخليفة يردد "إنا لله وإنا إليه راجعون" حتى ظن غالب العامة أن بهاء الدولة هو من أُلقِي القبض عليه؛ مما جعل الأمر يزداد سوءًا؛ فكثر السلب والنهب في دار الخلافة وما يجاورها دون الالتفات إلى الأمر الحاصل ودون أي مساعدة تذكر للخليفة (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٨، ص٤٨٧؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٨٠)، وقد وصف الشريف الرضي بشِعره وصفًا دقيقًا لهول ما حصل للخليفة مبينًا من خلاله قلقه وحزنه

يوم القبض على الطائع لله (الشريف الرضي، ١٩٥٦م، ج١، ص٥٧ ؛ الثعالبي، ١٩٨٣م ، ج٣، ص١٥٩-١٦١)[٥].

تحرّك جند بهاء الدولة لمكان إقامة زوجة الخليفة الطائع لله التي هي أخت الملك بهاء الدولة؛ وذلك لتأمين الحماية لها ونقلها إلى مكان آمن، وبالفعل تم ذلك بقيت فيه إلى أن توفيت سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م حيث قام بهاء الدولة بعد وفاتها بالاستيلاء على تركتها التي وصفت في المصادر بالنفيسة (أبو شجاع، ٢٠٠٠، ج٧، ص٢٤٧؛ ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٩، ص١٠، ٤٢). أما خواص الملك بهاء الدولة فنقلوا على الفور الطائع لله من دار الخلافة التي كان يجلس فيها إلى دار المملكة التي سبق إليها بهاء الدولة، وهناك أُجبر الطائع لله أن يوقّع كتاب خلعه بيده [٦](الذهبي، ١٩٨٥، ج١٩، ص٤٤٩) مقرًّا على توليَت القادر بالله مكانه، وقد شهد على الكتاب أعيان الدولة من الأشراف، والقضاة، والشهود (ابن الكازروني، ١٩٧٠، ص١٩٤؛ العيني، ص٩٣أ+ب). من المؤكد أن مثل هذا التصرف الحكيم من قبل بهاء الدولة المتمثل بعدم قتل الطائع لله له أبعاده الإيجابية لصالح بهاء الدولة لدى القوى المحيطة به؛ حيث أن بلاد ما وراء النهر التي تحكمها السلالة السامانية كانت تربطها بمؤسسة الخلافة ممثلة بمؤسسة الخلافة ممثلة بالطائع لله علاقة جيدة على العكس من علاقتها مع الدولة البويهية (صدّيقي، ٢٠٠٧، ص٩٣ وما بعدها ؛ Bosworth, 1973, p27-34)، وبقيت هذه العلاقة لمدة ليست باليسيرة بعد تولّي القادربالله (ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٨٢)، وبهذا الترتيب الحكيم يضمن بهاء الدولة عدم تدخل الأطراف عن طريق إبقاء الطائع لله على قيد الحياة، وعمله على التنازل عن السلطة بخط يده ورضاه.

لم يُعامَل الطائع لله معاملة جيدة؛ وذلك بعد أن ضمن بهاء الدولة توقيعه على كتاب خلعه، وتيقّن من عدم وجود مصدر تهديد لحكمه، حيث تشير إحدى الروايات التاريخية إلى أن بهاء الدولة قام بقطع جزء من أذنه وحبسه بعد ذلكً (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٥٠).

١/٣-علاقة كل من الملك بهاء الدولة والخليفة الطائع لله بالقادر بالله قبل توليه الخلافة

الخليفة القادر بالله، هو الخليفة الخامس والعشرين من خلفاء بني العباس، ولد سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م (انظر ترجمته بالتفصيل في: الخطيب البغدادي، ٢٠٠١، ج٥، ص٦١-٦٣ ؛ ابن الكازروني، ١٩٧٠، ص١٩٦؛ النويري،٢٠٠٢، ج٢٣، ص٢٠٦-٢٠٨؛ الذهبي، ١٩٨٥، ج١٥، ص١٢٧-١٢٩؛ ابن شاكر،١٩٧٤، ج١، ص٥٨؛ العيني، ص٩٤أ+ب؛ متز، ١٩١٤، ج١، ص٢٣-٢٤)، وهو أبو العباس أحمد ابن الأمير إسحاق ابن المقتدر بن المعتضد العباسي، لم يكن للأمير القادربالله أي تواصل في فترة خلافة الطائع لله مع الملك بهاء الدولة، ولم تكن علاقته طيبة بابن عمه الخليفة الطائع لله إبان تلك الفترة؛ فقد نشب نزاع على ملكية قطعة أرض بين القادر بالله وأخته آمنة بعد وفاة والدهم (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٣٣-٣٤)، الأمر الذي جعل آمنة تنتهز فرصة مرض الطائع لله سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م لتخبره بأن القادر بالله قد استغل فترة مرضه، وراسل أصحاب السلطة ووجهاء الدولة طامعًا بولاية الخلافة مكانك؛ مما أثار غضب الخليفة الطائع لله (ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٦٥-٦٦؛ العيني، ص٩٠أ)، وعندما تماثل للشفاء قام على وجه السرعة بارسال كاتبه ابن حاجب النعمان للقبض على القادر بالله في داره، وما أن وصل ابن حاجب النعمان لتنفيذ أمر الطائع لله حتى قام القادر بالله مسرعًا بالهرب وذبك فور رؤيته؛ معللاً ذلك بأنه قد رأى منامًا تتلى فيه آيات تدل على أن أمرًا ما سيحصل له (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٨، ص٤٧٧-٤٧٨ ؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٦٥-٦٦؛ ابن الكازروني، ١٩٧٠، ص١٩٧). وصل القادر بالله إلى منطقة البطيحة، واستقبله هناك أميرها مهذب الدولة أحسن استقبال (الذهبي، ٢٠٠٣، ج٨، ص٣٥١؛ العيني، ٩٠أ).

وبهذا يكون الطائع لله في سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م هو الخليفة العباسي الشرعي، والذي أشرنا سابقًا لتغيّر تعامل بهاء الدولة معه، ويكون القادربالله قد فرّ خوفًا إلى البطيحة واستقر فيها كما سيلي؛ تحرّزًا من المكيدة التي رتبتها أخته عن طريق إيقاع الخصومة بينه وبين الخليفة الطائع.

١/٤-تولّي القادر بالله الخلافة (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣٠م)

باشر الملك بهاء الدولة بإرسال مجموعة تحمل نسخة من كتاب خلع الطائع لله لنفسه، وقبوله بتولية القادر بالله إلى منطقة البطيحة (أبو شجاع، ٢٠٠٠، ج٧، ص٢٤٣)، التي مكث فيها القادر بالله قرابة الثلاث سنوات بعد حادثته مع الطائع لله، وما أن وصل الوفد الذي أرسله بهاء الدولة إلى البطيحة، وتم إبلاغ القادر بالله بما جرى مؤكدين له ذلك بما حملوه إليه من أُذن الطائع لله التي قُطِع جزءٌ منها (ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٨١ ؛ سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣ ج١٨، ص٤٩-٥٠) حتى جلس القادر بالله وكتب كتابًا لبهاء الدولة (انظر نص الكتاب الكامل: ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٨، ص٤٨٩-٤٩١ ؛ الذهبي، ٢٠٠٣، ج٨، ص٥٠٧) من منطقة الصليق في البطيحة وتحديدًا من منزل مهذب الدولة (ياقوت الحموي، ج٣، ص٤٢٢)، وكانت فحوى الكتاب تتلخص بحمد الله على نصرته، والثناء على جهود الملك بهاء الدولة والدعاء له، والتأكيد على حسن نوايا الملك بهاء الدولة من جهة، وسوء

نوايا الخليفة الطائع لله من الجهة الأخرى، والتي بانت واستحقت ما حصل بحد تعبيره.

عاشت بغداد بين فترة العزل والتولية أحداثًا عصيبة؛ تمثّلت بشغب الجند، وكثرة المطالبات المالية، والجدل (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٨، ص٤٨٨؛ النويري، ٢٠٠٢، ج٢٣، ص٢٠٨ ؛ التائب، ٢٠١٦، ص٩٦، ١١٠-١١٧) ، مما أجبر الملك بهاء الدولة على مفاوضتهم ومحاولة تهدئتهم لحين إعلان اسم الخليفة الذي أخفي عن العامة قرابة السبعة أيام، وبعد أن كسب الملك بهاء الدولة رأي الجند والعامة وبيعتهم للخليفة الجديد الذي أخفيت هويته، أعلن عن شخصية القادر بالله للعامة، وتمت له الخطبة صراحةً يوم الجمعة الثالث من رمضان/أيلول سنة ٣٨١هـ/٩٩١م (أبو شجاع، ٢٠٠٠، ج٧، ص٢٤٣-٢٤٤).

تحرّك الخليفة القادر بالله بعد أن رتب الملك مهذب الدولة له كل شيء لتسهيل وصوله إلى بغداد (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٥١-٥٢) التي استقبله فيها الملك بهاء الدولة ووجهاء دولته، حيث نزل القادر في دار الخلافة في الثاني عشر من رمضان ٣٨١هـ/٩٩١م (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٩، ص٧؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٨١) فجلس فيها، وحلف لبهاء الدولة على الوفاء والإخلاص، وبادله بذلك بهاء الدولة (ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٩١). ذكر الشعراء هذا اليوم وبذلوا في مدح القادر بالله والثناء عليه، ومن أمثالهم المرتضى الشريف علي بن الحسين بن موسى (ت٤٣٦هـ/١٠٤٥م) الذي كتب قصيدة في مدحه وقيمة وصوله للخلافة (الشريف المرتضى،١٩٥٨، ج١، ص٢٥٣-٢٥٥). إن قارئ الروايات التاريخية حول هذا الحدث يمكنه أن يشعر بمقدار الإرباك الحاصل داخل الدولة في بغداد؛ لأن الوقت بين الخلع والتولية، والخطبة والدخول إلى دار الخلافة قارب على تمام الشهر؛ مما يؤكد على أن الأمور لم تسر بسهولة كما تُقرأ سردًا في المصادر.

بقي القادر بالله في الخلافة طول فترة حكم بهاء الدولة المتبقية، حيث كانت تلك الفترة مشوبة بالحذر من كلا الطرفين؛ ولا تخلو من محاولات كل طرف لكسب الآخر ليسير حسب رغبته.

أمر بهاء الدولة بتسليم الخليفة المخلوع للخليفة القادر بالله، وتم الأمر عام ٣٨٢هـ/٩٩٢م (النويري، ٢٠٠٢، ج٢٣، ص٢١٠)، وقد جهّز القادر بالله إحدى الحجرات في دار الخلافة له تجهيزًا تامًا، وخدمه طيل فترة بقاءه وكما يليق به كخليفة (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٦٧)، ومن الجدير بالذكر أن هناك بعض الروايات التي تحدثت عن إيذاء القادر بالله له في بداية نزوله في دار الخلافة (ابن حمدون، ج١٢، ص١٤٠ب ؛ العيني، ص١٩٦أ)؛ إلا أن هذه الروايات ليست دقيقة؛ لشذوذها عن القدر الأكبر من الروايات التي تحدثت عن حسن ضيافته (أبو شجاع، ٢٠٠٠، ج٧، ص٢٩٠ ؛ ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٩، ص١٦؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٩٣ ؛ النويري، ٢٠٠٢، ج٢٣، ص٢١٠)، ولو أُخذت هذه الروايات التي تتحدث عن إيذاء الطائع لله على محمل الجد، لسوغناها كنوع من أنواع الثأر لما شهده القادر بالله من الأذى على يد الطائع لله فيما سبق؛ لكننا نميل إلى عكس ذلك. أخيرًا مضى اثنا عشر عامًا على بقاء الطائع لله تحت وصاية القادر بالله، حتى أعلِنت وفاته سنة٣٩٣هـ/١٠٠٢(ابن حمدون، ج١٢، ص١٤٢؛ ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٩، ص٨١ ؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص١٧٥) حيث قضى الخليفة الطائع لله تلك المدة بأسوءِ أحواله النفسية (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٦٧ ؛ الذهبي، ٢٠٠٣، ج٨، ص٥٠٩) نتيجة ما شهده من تغيّر الحال. من الجدير بالذكر أن إبقاء القادر بالله للخليفة الطائع لله تحت مراعاته ومراقبته، يفسّر بأنه كان حذرًا من أن يُطلق سراح الطائع لله، فيتمكن بهاء الدولة من استخدامه كورقة ضغط ضد القادر بالله، وذلك بتهديده بالعزل أو ما شابه لاحقًا، وبهذا نستدل على فهم القادر لله لأبعاد الأحداث التي تدور حوله، وتنبهه لخطورة دار المملكة على دار الخلافة.

١/٥-أسباب تولية القادر بالله الخلافة

تحدثنا سابقًا عن الشكوك حول دور مهذب الدولة في حادثة خلع الطائع لله، ونشير هنا إلى أن الشكوك تزداد بخصوص دوّر مهذب الدولة في تولّي شخص القادر بالله للخلافة؛ حيث جهّز مهذب الدولة الخليفة القادر بالله بجهاز ضخم، وقام بتيسير الأمور له أثناء تحركه إلى بغداد بشكل كبير، أضف إلى ذلك أن هناك رواية مفادها أن القادر بالله وقبل قدوم وفد بهاء الدولة إليه قد حلم بأمر ينبأه بالخلافة (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٨، ص٤٨٨-٤٨٩ ؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٨١ ؛ النويري، ٢٠٠٢، ج٢٣، ص٢٠٨)، وقد شاهد فيه البشارة من علي بن أبي طالب الذي كان له هالة روحية ضخمة في ذلك العهد (انظر حول ذلك: الخطيب البغدادي، ٢٠٠١، ج٢، ص٩٥-١٠٠) وأوصاه خيرًا بأتباعه وشيعته، والأمر الأهم أن صاحب هذه الرواية هو كاتب مهذب الدولة أبو القاسم هبة الله بن عبدالله بن عيسى ت٤٠٥هـ/١٠١٤م (ياقوت الحموي، ١٩٩٣، ج٥، ص١٩٤٧) الذي ربطته علاقة وطيدة بمهذب الدولة من جهة ،وكصديق للقادر بالله أثناء بقاءه بالبطيحة من جهة أخرى (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٥١-٥٢)؛ مما يضع مهذب الدولة بالنسبة لنا في الصف الأول لأسباب اختيار القادر بالله كخليفة.

لا شك بأن مثل هذه الأحلام التي تكررت مع القادر بالله مرة عند محاولة القبض عليه أيام الطائع لله، والأخرى عند تولّيه الخلافة؛ كانت سببًا للتشكيك بمصداقيتها؛ حيث قد تُوظّف هذه الرؤى كنوع من الدعاية، ومحاولة كسب الشرعية، أو لإضفاء الجانب الروحاني والإيماني على شخصه أمام المراد كسبهم لصفه ومبايعتهم له كالسامانيين مثلاً الذين ارتبط اسم الطائع لله بخطبتهم حينها (صدّيقي، ٢٠٠٧، ص٩٣)، أو كأهل العراق أنفسهم الذي سيمكث بينهم ويمارس سلطاته عليهم.

نعتقد أن اختيار القادر بالله كان لأسباب عديدة، يمكن إبرازها فيما يأتي:

- لم يكن ابن خليفة، وبالتالي هو من أمراء الطبقة الثانية؛ حيث اعتقد بهاء الدولة أنه باختيار القادر بالله للخلافة لن يكون له مطامع في السلطة، وسيدين بالفضل بوصوله إلى منصب الخلافة لبهاء الدولة، وسيكون بنظر بهاء الدولة الخليفة المطيع والمتعاون.
- رغبة بهاء الدولة بالإتيان بخليفة هو صاحب الفضل الأكبر عليه، وليس لديه أي طموحات في الخلافة؛ مما يجعله أكثر التزامًا بما يريده بهاء الدولة.
- آراء مهذب الدولة التي أشرنا لها سابقًا، إضافة إلى ظروف حياة القادر بالله، وعلاقته بالطائع لله التي اتسمت بالعداء والكراهية أيضًا كانت سببًا هي الأخرى في ذلك.

ثانيًا: النزاع بين دار المملكة ودار الخلافة على السلطة

يعتبر النزاع على السلطة أبرز سمة لطبيعة العلاقة بين مؤسسة دار الخلافة وبين دار المملكة وخصوصًا في الربع الأخير القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي؛ حيث عاصر الملك بهاء الدولة منذ بداية تولّيه المُلك في بغداد خليفتان، هما الطائع لله، والقادر بالله، اللذان فقدا سلطتهما الفعلية في إدارة شؤون الدولة التي كانت ترتبط بمنصب الخلافة قبل العهد البويهي؛ جرّاء ما يمكننا وصفه بطمع التملّك والسلطة لدى بهاء الدولة، ولا يمكننا القول أن هذا التدهور بمنصب الخلافة هو وليد هذه الفترة بعينها؛ بل يعود هذا التدهور والاضمحلال في مؤسسة الخلافة إلى عقود منصرفة تتعلق بظهور منصب إمرة الأمراء بشكل أساسي. سنتناول في هذه الجزئية ما أوردته المصادر التاريخية عن بعض الممارسات التي توضّح محاولة كلا المؤسستين أن تسيطر على الأخرى في ضوء فترة البحث.

٢/١-النزاع بين بهاء الدولة والخليفة الطائع لله

تولّى بهاء الدولة السلطة الفعلية في أواخر العقد السابع من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وكان يحاول في بداية أمره أن يعزز أركان دولته وأن يحمي نفسه من خطر الطامعين من حوله، وقد اتسمت علاقة بهاء الدولة في بداياته بالخليفة الطائع لله قرابة العامين بالهدوء النسبي (أبو شجاع، ٢٠٠٠، ج٧، ص١٨٢؛ ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٨، ص٤٧٨)؛ حيث شهدت تلك الفترة العديد من الزيارات المتبادلة التي يظهر بها الاحترام بشكل عام (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٨، ص٤٧٨)، ولعل السبب بذلك هو ضعف الخليفة، أو جهله لما قد سيهدده من جهة بهاء الدولة، ومن الجانب الآخر تخوّف بهاء الدولة من اتخاذ أي قرار جوهري من شأنه تقويض حكمه الناشئ، وبهذا مر قرابة العامين من الفتور الذي أصبح ميزة العلاقة بين مؤسسة الخلافة ودار المملكة.

في عام ٣٨٠هـ/٩٩٠م بدأت نظرة بهاء الدولة للخليفة الطائع لله بالتغيّر (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٤٥)؛ فخلال الفترة التي تسلّم بها بهاء الدولة السلطة في العراق، ومع زيادة احتكاك الملك بالخليفة أصبح من المجدي في نظر بهاء الدولة أن يقوم بعزل الخليفة، محاولاً بذلك إيجاد بديل له سواء أكان هذا العزل بداعي المصادرة، أم بداعي إيجاد بديل يكون لبهاء الدولة عليه الفضل في توليته، ويكون تحت السيطرة ورهن الإشارة ليكمل معه المسيرة ويحقق من خلاله ما يريد.

تعتبر أولى الإشارات الواضحة التي تدل على تدخل بهاء الدولة بسلطات الخلافة هي تعيين أبو أحمد الموسوي الحسين بن موسى بن محمد (انظر ترجمته: الذهبي، ٢٠٠٣، ج٨، ص٨١٤) لنقابة الطالبيين مضيفًا له الحج، والمظالم (حول هذه المناصب: الماوردي، ص١٥٥، ١٣٠، ١٧٠)، حيث يرد في المصادر الخبر بأن الخليفة الطائع لله يعهد بولاية الموسوي على ما سبق ذكره فقط (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٤٥؛ العيني، ص٩٠ب)؛ لكن ما لفت انتباهنا هو أن القلقشندي قد نقل لنا نص كتاب التولية المؤرخ بِـ٣٨٠هـ/٩٩٠م (القلقشندي، ج١٠، ص١٥٦-٢٦٣)، حيث يظهر من خلال النص دوّر واضح لبهاء الدولة بهذه التولية؛ وهذا لعلاقته القوية بأبي أحمد الموسوي (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص١٨٤-١٨٥)، فقد ذُكِر بهاء الدولة صراحة في كتاب التولية الصادر من الخليفة الطائع لله بأنه هو من أراد ذلك، أي بتركيته وطلبه وتمهيده، وبهذا النص الوحيد الذي لدينا لكتاب التولية يمكننا أن نحكم بأن بهاء الدولة كان له تدخل واضح في قرارات مؤسسة الخلافة أيام الطائع لله، ومن ناحية أخرى تعتبر

حادثة عزل الطائع لله لاحقًا والطريقة التي اتخذها بهاء الدولة لذلك من أكبر العلامات لذلك الصراع والتسلّط.

٢/٢-النزاع بين بهاء الدولة والخليفة القادر بالله

انتقلت السلطة الفعلية لمؤسسة الخلافة من يد الطائع لله إلى يد القادر بالله، الذي ما أن وصله خبر توليته حتى أظهر امتنانه لبهاء الدولة وصدق الولاء الذي سيقدمه له على صنيعه (لنص الكتاب الذي أرسله إلى بهاء الدولة: ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٨، ص٤٨٩-٤٩١؛ الذهبي، ٢٠٠٣، ج٨، ص٥٠٧)، وبذلك قَدِم القادر بالله إلى بغداد، واستقبله هناك بهاء الدولة، وكانت أولى أعمال بهاء الدولة مع القادر بالله هي اختيار حاشيته الذين سيساعدونه في إدارة مؤسسة الخلافة، ومنهم كاتبه وأستاذ داره[٧](سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٥٣ ؛ العيني، ص٩٤ب)؛ ويعتبر مثل هذا التصرف باعتقادنا نوع من أنواع ضبط التحركات الإدارية والشخصية للخليفة، والتي قد تُقَدَم لبهاء الدولة على شكل تقارير استخبارية عند الحاجة.

من ناحية أخرى فقد لاحظنا أيضًا بأن الخطاب الصادر من مؤسسة الخلافة لبهاء الدولة قد تغيّر بشكل ملحوظ، فقد زاد القادر بالله في ألقابه؛ حيث أضيف لبهاء الدولة لقب غياث الأمة وقوّام الدين (الصابئ، ٢٠٠٠، ج٧، ص٤٨٣ ؛ ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٩، ص١٠ ؛ العيني، ص١٣٠أ)، وكان هذا الأمر جديدًا على صورة المخاطبة بين الخليفة والملك؛ حيث كان بهاء الدولة أول من خوطب بالدين، واستُبدِل وصفه من مولى أمير المؤمنين إلى صفي أمير المؤمنين (حول تطور الألقاب في العهد البويهي انظر: الصابئ، ١٩٨٦، ص١٣١-١٣٢؛ القلقشندي، ج٥، ص٤٦٢ ؛ العيني، ص١٣٠أ) الأمر الذي يدل أيضًا على هيبة وسطوة بهاء الدولة، وضعف مؤسسة الخلافة ممثلة بالقادر بالله، وهذا ما يحاول القلقشندي قوله لنا؛ حيث ينقل لنا صورة الإفراط بمنح الألقاب من مؤسسة الخلافة حتى وصلت هذه الألقاب للجند والكتاب والأعراب وغيرهم (القلقشندي، ج٥، ص٤١٦).

لم يكتف بهاء الدولة بضبط تحركات الخليفة الجديد داخل دار الخلافة فحسب؛ بل حاول أن يزوّجه ابنته سكينة؛ كنوع من المصاهرة السياسية لصالح بهاء الدولة، وبالفعل نجح بهاء الدولة بتزويج ابنته من القادر بالله وقبض صداقها سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م، وقد وكّل بهاء الدولة لإتمام أمر الزواج الشريف الموسوي الذي ما أن تمم مراسم الزواج حتى توفى الله سكينة ابنة الملك بهاء الدولة (أبو شجاع، ٢٠٠٠، ج٧، ص٣٠٠؛ ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٩، ص٢٠ ؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص١٠١ ؛ الذهبي، ١٩٨٥، ج١٥، ص١٣٠ ؛ العيني، ص٩٦ب) مما جعل هذا المشروع يفشل؛ وأقصد به كمشروع ما سبق به والد الملك بهاء الدولة؛ حيث قرر عضد الدولة البويهي في سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م أن يزوّج ابنته من الخليفة الطائع لله وقد كان يقول: "لعلها تلد ولدًا ذكرًا فتجعله ولي عهده فتكون الخلافة في ولدهم..." (النويري، ٢٠٠٢، ج٢٣، ص٢٠٣).

لم يقف الخليفة القادر بالله في بداية أمره مكتوف الأيدي، فقد كان أول شخص تمكّن من استعادة بعض رموز الخلافة في عهد بهاء الدولة، حيث بادر بما استطاع حينها بأن يقلل من مستوى ما قد يهدد وجوده وكينونة مؤسسته، فكان دليل قوة القادر بالله هو تمكّنه من استعادة إحدى رموز الخلافة؛ حيث خصص له حاجبًا، وكان الاحتجاب أمر غير مسبوق لدى الخلافة العباسية في العصر البويهي، وقد بُرِّرَ ذلك بأن القادر بالله قد خاف واعتبر بما حصل مع الطائع لله (العيني، ص٩٦أ)، وعلى الرغم من ذلك فإنه يُعد إنجاز يحسب للقادر بالله حيث تمكن من استعادة منصب الحجابة في نهاية الأمر.

حاول القادر بالله أيضًا أن يكسب تحالفات جديدة تزيد من قوته وصفته الشرعية أمام بهاء الدولة، ففي عام ٣٨٣هـ/٩٩٣م جلس القادر بالله لحجاج خراسان، محاولاً التودد معهم وتحميلهم الرسائل في معنى الخطبة له في أراض خراسان وذلك عن طريق واليها للسامانيين محمود بن سبكتكين[٨](ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص١٠٠-١٠١ ؛ انظر حول السامانيين: صدّيقي، ٢٠٠٧، ١٠١-١٠٣ ؛ Bosworth, 1973, s:27-34/35-47)، وبخطوة غير متوقعة، قام القادر بالله في عام ٣٨٤هـ/٩٩٤م بعزل الشريف الموسوي عن نقابة الطالبيين، حيث يعتبر الموسوي أحد خواص بهاء الدولة، وبهذا ولّى القادر بالله مكانه شخص آخر(العيني، ص٩٧أ)، وهكذا نشهد مبكرًا على إمكانيات وطموح الخليفة القادر بالله بمحاولاته لاستعادة هيبة مؤسسة الخلافة من جديد.

بين لنا الصابئ في كتابه (الصابئ، ١٩٨٦، ص١٢٤-١٢٥) سلطات الخليفة من ناحية التولية والعزل بمنصب القضاء، منوهًا لارتباط هذا الأمر بدار الخلافة حصرًا، ومؤكدًا ذلك بأمثلة من العهد البويهي السابق لفترة البحث، إلّا أن التطبيق الفعلي الذي تشير له المصادر الأخرى يبيّن لنا تجاوزات بهاء الدولة على هذه السلطة، حيث ترد الإشارات لثلاثة حوادث؛ كان أولها عام (٣٨٦هـ/٩٩٦م)، إذ تدخل بهاء الدولة بشكل مباشر بمسار القضاء؛ فقد كان الخليفة القادر بالله قد أصدر تعليماته بخصوص شهادات العدول بالقضايا لدى قضاة المذاهب الأربعة، إلّا أن أحد الخصوم حصلوا على استثناء مكتوب من بهاء الدولة وحاشيته بسماع شهادة أحد الأشخاص، مهمشًا بهذا الاستثناء

الذين دوّنت أسماءهم سابقًا كعدول لدى القضاة، فما كان إلا أن حدثت إشكالات بين القضاة أنفسهم من جهة، وبين الخصوم ودار الخلافة من جهة أخرى، الأمر الذي عطّل سير القضية وزاد الأمر سوءا (أبو شجاع، ٢٠٠٠، ج٧، ص٣٢٧-٣٣١).

أما الحادثة الثانية فكانت سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م وتمثّلت بأن أرسل بهاء الدولة من شيراز كتاب تقليد الشريف أبو أحمد الموسوي قضاء القضاة ببغداد، وتلقيبه بالطاهر ذو المناقب، إلا أن الأمر لم يتم بسبب رفض الخليفة القادر بالله، وإصراره على عدم الامتثال لأوامر بهاء الدولة بهذا الشأن (ابن حمدون، ج١٢، ص١٤٢ب ؛ ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٩، ص٨٥ ؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص١٨٢؛ سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص١٤٢؛ الذهبي، ٢٠٠٣، ج٨، ص٦٨٧ ؛ العيني، ص١١١٥أ)، ونعتقد أن هذا الرفض كان جرّاء شعور القادر بتهديد ومساس بهاء الدولة لسيادة مؤسسته وصميم سلطاته كخليفة وبشكل علني.

وأخيرًا من ناحية القضاء فقد أثبت الخليفة عدم قدرته على حل أحد الخلافات المذهبية التي تصاعدت وتيرتها بين قاضي القضاة وأحد نوابه الذي عينه القادر بالله بنفسه سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م، حيث لجأ المتخاصمان ومن تحيّز لكليهما إلى الوزير فخر الملك نائب بهاء الدولة في العراق، الذي تحرك على الفور وحل الخلاف، ونصّب قاضي قضاة بأمره ودون من ينوب عنه (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص١٩٠) وقد أشارت الرواية إلى أن القادر بالله تبين له مصدر السوء وقام بالموافقة على ما تم، إلا أن هذا الأمر أيضًا إن يكن ضعفًا في مؤسسة دار الخلافة، فهو من الناحية الأخرى تدخل واضح من رجال بهاء الدولة في صلاحيات مؤسسة الخلافة، التي قابلها الخليفة بالموافقة[٩] (ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٢٢٣؛ العيني، ص١٢٥ب)

قام بهاء الدولة كعادته بممارساته المتعدية على سلطة الخليفة بتعيين أصحاب المناصب العليا في النقابة والولايات، وكذلك خلع الألقاب على من يريد، فقد لقب في عام ٣٩٠هـ/٩٩٩م أحد وزراءه وقادة جنده وهو الموفق أبا علي الملقب بعمدة الملك، كما أنه أذن له بضرب الطبول أوقات الصلوات (الصابئ، ٢٠٠٠، ج٧، ص٤٠٨) والتي كانت سابقًا خصيصة بالخلافة، كما أنه لم يكتف بذلك؛ ففي عام ٣٩٧هـ/١٠٠٦م قام بتولية أبي الحسن محمد ابن أبي أحمد الموسوي النقابة والحج، ولقبه الرضي ذي الحسبين، ولقب أبا القاسم أخاه بالمرتضى ذي المجدين (الشريف المرتضى، ١٩٥٨، ج١، ص٢٥٧-٢٦٠ ؛ ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٩، ص٩٦ ؛ الذهبي، ٢٠٠٣، ج٨، ٦٩٠-٦٩١)، وبقي الحال على ذلك حتى سنة وفاة الأمير بهاء الدولة ٤٠٣هـ/١٠١٢م حيث عيّن على نقابة الطالبيين الرضي الموسوي سابق الذكر وكتب له بالعهد من أرّجان (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٢١١) وقد استُقبِل هذا الكتاب ببغداد وكأن الخليفة لا وجود له (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٩، ص١٢٧).

تحدثنا سابقًا عن إدارة نظام البريد واختراقه من قبل البويهيين، وخطورة ذلك على مؤسسة الخلافة في علاقاتها الخارجية وصلاتها السرية، ومن الجدير بالذكر هنا أن الخليفة القادر بالله قد تمكّن من امتلاك ديوان خاص به في عهد الملك بهاء الدولة يدعى الديوان القادري، كما أنه عمل بشكل جدي على إيجاد صاحب بريد وخبر خاص بهذه المؤسسة ليقوم برفده بالأخبار والمعلومات (الصفدي، ٢٠٠١، ج٧، ص١٥١؛ طلفاح، ٢٠٠٦ ص٢١٨-٢١٩).

تمكّن القادر بالله أيضًا في عام ٣٩١هـ/١٠٠٠م من استعادة حق مؤسسة الخلافة في ولاية العهد؛ حيث نصب ابنه محمد أبو الفضل في منصب ولاية العهد، وأمر بإضافة اسمه على نقش النقود في الحاضرة بغداد (الخطيب البغدادي، ٢٠٠١، ج٢، ص١٠٢؛ الجوزي، ١٩٩٥، ج٩، ص٦٩؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص١٦٥؛ سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص١٢٤؛ ابن الفوطي، ١٩٩٦م، ج٢، ص٤٠٥؛ النويري، ٢٠٠٢، ج٢٣، ص٢١٢؛ الذهبي، ١٩٨٥، ج١٥، ص١٣١؛ العيني، ص١١٠أ؛ صدّيقي، ٢٠٠٧، ص٧٣).

كان القادر بالله في تواصله مع القوى المجاورة يأخذ بمشورة الملك بهاء الدولة، وقد وضح هذا الأمر جلوس القادر بالله لرسل أبي طالب رستم ابن فخر الدولة حاكم إقليم الجبال، ولرسل بدر بن حسنويه الكردي لتلقيبهما والخلع عليهما عام ٣٨٨هـ/٩٩٨م (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص١١٠)، حيث تم الأمر كما يجب بعد مشورة بهاء الدولة التي تتضح من خلال النصوص بأنها كانت بمثابة أخذ الموافقة والأمر لا المشورة (أبو شجاع، ٢٠٠٠، ج٧، ص٣٦٥ ؛ ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٩، ص ٥٥)، فقد لقب رستم بمجد الدولة وكهف الأمة، وأرسلت له الخلع والعهد، ولقب بدر بن حسنويه الكردي بناصر الدين والدولة، وأرسلت له هو الآخر الخلع والعهد (ابن حمدون، ج١٢، ص١٤١ب؛ الفوطي، ١٩٩٦، ج٤، ص٢٨١-٢٨٢)، وهذا الأمر كان بعد إشارة بهاء الدولة عليه بذلك.

يعي القادر بالله تمامًا أن موازين القوى بالمنطقة كانت راجحة لصالح بهاء الدولة، فكان لابد له من حليف خارجي وصاحب قوة يستطيع من خلالها أن يحافظ على منصبه في ظل حكم بهاء الدولة؛ فكانت فكرة مراسلة محمود بن سبكتكين فكرة جيدة له ولمستقبله كخليفة، حيث أسس ابن سبكتكين الدولة

الغزنوية وأصبح من أهم القوى في الدولة الإسلامية، وقد دلت النصوص على قرب القادر بالله منه وتواصلهما الدائم؛ وذلك بصفته الزعاع السُنية الوحيدة حينها التي تدعم الخلافة في ظل وجود البويهيين الشيعة حول وداخل مؤسسة الخلافة (العتبي، ٢٠٠٤، ص١٧٨ ؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص١٠٠-١٠١؛ الذهبي، ١٩٨٥، ج١٥، ص١٣٣؛ صـــدّيقي، ٢٠٠٧، ص١٠٨-١١٠؛ طلفـــاح، ٢٠٠٦، ص٢٠٦-٢١٠؛ Bosworth, 1973, p36-37 ; Güngör, 2017, 117-118).

يعتبر الربع الأخير من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي من الفترات المؤثرة في تغيير مسار النظر لمؤسسة الخلافة؛ حيث شهدت تلك الفترة العديد من التجاوزات بحق الخليفة كان أهمها العزل والمعاملة السيئة التي لم يسبق لها نظير، ولم يكن فقط شخص الملك بهاء الدولة البويهي المعني بمثل ما سبق من تجاوزات، بل لا بد من الإشارة إلى أن حاشيته كذلك والمقربين منه قاموا بنفس الدور؛ حيث لعب أبو الحسن المعلم علي بن محمد الكوكي (الذهبي، ١٩٨٥، ج٨، ص٥٠٩) دورًا بارزًا كان أهم ما فيه أن ساعد بخلع الخليفة الطائع لله، كما أنه أثّر أيضًا في العديد من القرارات السيادية لبهاء الدولة، أما الشخص الآخر المتنفذ في دولته فهو أبو المسك عنبر خادم الملك بهاء الدولة، الذي يصفه ابن حمدون في كتابه: " بلغ غاية ما يبلغه مثله ورأي أصحاب الأطراف يقبلون يده ويترجلون له عند لقاءه وينفذ حكمه فيما ينفذ فيه حكم الملوك" (ابن حمدون، ج١٢، ص١٤٦ب).

كان القادر بالله يبحث جاهدًا عن الوسائل التي ستمكنه من استعادة رموز مؤسسة الخلافة المسلوبة، وكان في عهد الملك بهاء الدولة قد تمكّن من استعادة معظمها، لكن جهوده في المرحلة التي تلت حكم بهاء الدولة كانت الأكبر في سبيل حماية دار الخلافة ومحاولة الارتقاء بها؛ وذلك ليس بسبب قوته بل بسبب الانشقاقات الحاصلة في دولة بهاء الدولة نتيجة تقسيم الحكم بين أبناءه لاحقًا (ابن الموصلايا، ٢٠٠٣، ص٦٩-٧٠. انظر لما يتعلق بالقادر بالله وعلاقته بالقوى من حوله في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي: Genç, 2004, s:229-).

خشيّ الخليفة العباسي القادر بالله والملك بهاء الدولة من تأثير الدعوة الفاطمية على مناطق نفوذهما، وقد عمدًا لاتخاذ إجراء احترازي عام ٣٨٢هـ/٩٩٢م بهدف الاطمئنان على منطقة العراق بعد حادثة عزل الطائع لله؛ وكان هذا بسؤال الأشراف الطالبيين هناك عن رأيهم بالدعوة الفاطمية التي قابلها الطالبيون على الفور بالإنكار والرفض، حيث جمعت شهاداتهم على بطلانها وكذب دعوتها (النويري، ٢٠٠٢، ج٢٨، ص٦٦ ؛ Genç, 2017, s: 221-220/228) الأمر الذي زاد من طمأنينة القادربالله وبهاء الدولة على حد سواء، ولكن خطر الفاطميين ازداد سوءًا بعد فترة من الزمن؛ حيث كانت المعطيات الأولية تشير إلى دنوّ ذلك الخطر الذي يهدد الخلافة العباسية من قِبَل نظيرتها الفاطمية، فكانت أبرز تلك الأحداث هي زيادة عدد الدعاة الفاطميين في مناطق مكة المكرمة وما جاورها، والخطبة فيها للفاطميين بمصر علنًا عام ٣٩٦هـ/١٠٠٥م (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٩، ص٩١).

من ناحية أخرى سيطر الفاطميون عام ٣٩٩هـ/١٠٠٨م على منطقة الرحبة (ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٢١١) التي تعد أهم المراكز القريبة من العراق والخاضعة لسيطرة بهاء الدولة (أبو شجاع، ٢٠٠٠، ج٧، ص٢٨٣-٢٨٤؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٩١؛ سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص٧٥)؛ إذ يصفها أهل ذلك العصر بدهليز -ممر- العراق (ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٨٧)؛ حيث يمتد هذا الدهليز بأراضي حلب ودمشق وصولا إلى مدينة الرحبة التي تجاور الكوفة (ياقوت الحموي، ج٣، ص٣٣). هدد ما سبق ذكره بغداد أيما تهديد؛ وذلك لقرب منطقة الرحبة من العراق من جهة، ولأهمية مكة والمدينة المنورة كساحة مقدّسة للدعوة والدعاية من جهة أخرى.

كانت أقوى الضربات للخلافة العباسية في فترة البحث هي نجاح الحاكم بأمر الله الفاطمي أخيرًا بإغواء حاكم الموصل بالخطبة له في ربيع أول/أذار سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م (ابن حمدون، ج١٢، ص١٤٣أ)، حيث كان يحكم الموصل شخص يدعى معتمد الدولة قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلي حينها (الذهبي، ١٩٨٥، ج١٧، ص٦٣٣-٦٣٤ ؛ الصفدي، ٢٠٠١، ج٢٤، ص١٧٥ ؛ سعيد وحمدي، ٢٠١٣، ص٧٨- ٨٠)؛ وكان للقادر بالله الفضل في حكمه وحكم أبيه من قبله على الموصل (ابن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص١٢٥؛ سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص١٤٨؛ الذهبي، ٢٠٠٣، ج٨، ص٦٠١، ٦٦٦، ٦٨٩ ؛ العيني، ص١١٠ب ؛ سعيد وحمدى، ٢٠١٣ ص٧٤ وما بعدها)، ولكن المال والهدايا التي خصصها الحاكم بأمر الله له كانت أمكن في نفسه من أي اعتبارات أخرى، أضف إلى ذلك طمعه بنيل مركز أكبر لدى الحاكم بأمر الله جرّاء ما سيفعله لأجله.

أراد القادر بالله أن يضع نهاية للخطر الفاطمي الذي يحاول التغوّل في العراق، وما حولها عن طريق الدعاة المبثوثين هنا وهناك، خصوصًا بعد ما شهده من قرواش بن المقلد في الموصل، فرأى أن أفضل طريقة لذلك هي إصدار بيان عام يوضح من خلاله كذب الفاطميين في نسبهم لآل البيت، ويطعن في خلافتهم وأخلاقهم، داعمًا ذلك البيان بآراء رجالات

الدين والدولة من حوله[10]، وبذلك جمع القادر بالله الأشراف، والفقهاء، وكبار رجال بغداد[11]، ووقّعوا على نص المحضر الذي سمي بالمحضر القادري (انظر نسخة المحضر: ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٩، ص١٢١-١٢٢) وتم توزيع العديد من نسخه (بن الأثير، ١٩٧٩، ج٩، ص٢٣٦؛ الـــذهبي، ١٩٨٥، ج١٥، ص١٣٢، ١٧٧-١٧٨؛ العيـــني، ص١١٢٩أ) على من يوالي الخلافة العباسية ومن يجاورها وذلك في عام ٤٠٢هـ/١٠١١م، حيث لاقى المحضر القادري قبولاً في العراق وما حولها؛ حتى كتب فيه الشعراء وتحدث عنه العامة (الصفدي، ٢٠٠١، ج١٩، ص٢٤٣).

أرسل الحاكم بأمر الله كرد فعل للمحضر القادري الذي أيده البويهيون مجموعة من الدعاة إلى محمود بن سبكتكين والي خراسان ومؤسس الدولة الغزنوية حينها عام ٤٠٣هـ/١٠١٢م يغويه بالخطبة له بدلاً من القادر بالله، فما كان رد ابن سبكتكين إلا أن طرد رُسُل الحاكم بأمر الله، وقام بتمزيق الكتب المرسلة إليه وبصق عليها، وراسل على الفور القادر بالله يخبره بذلك وأن الخطبة مستمرة للعباسيين في بلاده (العتبي، ٢٠٠٤، ج١، ص٣٩١؛ ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٩، ص١٢٩؛ الذهبي، ١٩٨٥، ج٩، ص ١٤؛ وانظر: صدّيقي، ٢٠٠٧، ص١١١)، وبهذا يكون القادر بالله قد عزز سلطته من جديد ليس فقط على الصعيد الداخلي؛ بل والخارجي أيضًا.

خَاتِمَةٌ

يمكننا رصد التجاوزات البويهية على الخلافة العباسية في فترة البحث فيما يأتي:

- عمل الملك بهاء الدولة البويهي على خلع الخليفة الطائع لله واستبداله بالقادر بالله.
- تعيين حاشية الخليفة القادر بالله عند تولّيه السلطة لمتابعة تحركاته، والتدخّل في شؤون القضاء، وولاية النقابات.
- محاولته قطع طرق البريد والأخبار عن دار الخلافة.
- محاولة ضبط علاقات الخليفة الخارجية قدر الإمكان؛ والممثلة بعلاقاته بالقوى المجاورة.
- التمتع بحق منح الألقاب للأمراء والقادة في الدولة، وإعطاءهم حق ضرب الطبول وما شابه.
- ضرب السكة، وإضافة اسم الملك البويهي إلى السكة إلى جانب اسم الخليفة وإطلاق لقب ملك الملوك -شاهنشاه- على نفسه (القيسي، ٢٠٠٢، ص٢٥٨؛ صدّيقي، ٢٠١٤، ص٧٢؛ الملحق).

أما محاولات الخليفة القادر بالله لاستعادة شارات الخلافة فيمكن إجمالها بالنقاط التالية:

- استعادة الحق بالإستحجاب، ووضع حاجب في دار الخلافة.
- رفض تدخّل الملك بهاء الدولة في تعيين القضاة وولاية النقابات في بعض الحوادث، واستعادة حقه بوجود نظام بريد خاص داخل ديوانه.
- محاولة كسب الخلفاء والقوى الخارجية إلى صفه، وكان أهمها الدولة الغزنوية التي استطاع بذكاء أن يجعلها إحدى أذرعه القوية في الخارج كنوع من موازنة القوى في علاقاته بين الفرس والترك.
- استعادة الحق بتعيين وليّ للعهد، والتدخل في سك النقود بالدولة من خلال إضافة اسم ولي عهده عليها.
- ظهوره كصاحب قرار على الساحة الدولية ومحاولته إثبات دوره كخليفه؛ وذلك عند إخراج المحضر القادري المتعلق ببيان نسب الفاطميين في مصر.

قائمة المصادر والمراجع:

المخطوطات:

- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي(ت٥٦٢هـ/١١٦٧م)، **مخ التذكرة الحمدونية**، ج١٢، مكتبة الجامعة الأردنية (صورة مايكروفيلم)، مخطوط رقم ٢٩٤٨.
- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد(ت٨٥٥هـ/١٤٥١م)، **مخ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تبدأ نسخة المخطوط الذي لدي من سنة (٣٣١هـ) وتنتهي بأحداث سنة (٥٦٢هـ)، إستيداع مكتبة بايزيد، إسطنبول/تركيا، يحمل رقم ٤٥٦.

المصادر المطبوعة العربية والفارسية المعرّبة:

- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، ١٢ج، دارصادر، بيروت، ١٩٧٩م.
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل أبو منصور(ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ٤ج، (تح مفيد محمد قمحية)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ١٠ج، (تح سهيل زكار)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، ٢٣ج، (تح محمد أنس الحسن وكامل محمد الخرّاط)، الرسالة العلمية، سوريا، ٢٠١٣م.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، **تاريخ بغداد**، ط١، ١٦ج، (تح بشار عواد معروف)، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان**، ٧ج، (تح إحسان عباس)، دار صادر، بيروت.
- خواندمير، محمد بن خواندشاه (ت٩٠٣هـ/١٤٩٧م)، **روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء**، ط١، ترجمه عن اللغة الفارسية أحمد عبد القادر الشاذلي، الدار المصرية للكتاب، ١٩٨٨م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)،
  - **سير أعلام النبلاء**، ٢٥ج، (تح مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
  - **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط١، ١٥ج، (تح بشار عواد معروف)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى(ت٤٠٦هـ/١٠١٦م)، **ديوان الشريف الرضي**، ٢ج، (شرح وتعليق كامل سليمان)، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٦م.
- ابن شاكر، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر صلاح الدين(٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، **فوات الوفيات**، ط١، ٤ج، (تح إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.
- أبو شجاع، ظهير الدين محمد بن الحسين بن محمد الروذراوري(٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، **الذيل على تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، ط٢، ج٧، (تح أبو القاسم إمامي)، دار سروش، طهران، ٢٠٠٠م.
- الصابئ، أبو الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم(ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)،
  - **تاريخ الصابي**، قطعة من الجزء الثامن ملحقة بذيل تجارب الأمم، ط٢، ج٧، (تح أبو القاسم إمامي)، دار سروش، طهران، ٢٠٠٠م.
  - **رسوم دار الخلافة**، ط٢، (تح ميخائيل عواد)، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، **الوافي بالوفيات**، ٢٩ج، (تح أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠١م.
- العتبي، أبو نصر محمد عبد الجبار(ت٤٢٧هـ/١٠٣٦م)، **اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي**، ط١، ٤ج، (تح احسان ذنون الثامري)، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق الشيباني(ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ٦ج، (تح محمد الكاظم)، وزارة الثقافة والإرشاد، إيران، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري(ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ١٥ج، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي(ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، **مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس**، (تح مصطفى جواد)، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٠م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، **الأحكام السلطانية**، ط١، (تح أحمد جاد)، دار الحديث، القاهرة.
- الشريف المرتضى، علي بن الحسين بن موسى(ت٤٣٦هـ/١٠٤٥م)، **ديوان الشريف المرتضى**، ٣ج، (تح

رشيد الصفار وراجعه وقدم له مصطفى جواد ومحمد رضا)، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م.

- ابن موصلايا، العلاء بن الحسن بن وهب، (ت٤٩٧/١١٠٤م)، **رسائل أمين الدولة**، ط١، (دراسة وتح الدكتور عصام مصطفى عقلة)، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٣م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم(ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ٣٣ج، (تح فهيم شلتوت)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)،
- **معجم الأدباء –إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ط١، ٧ج، (تح إحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.
- **معجم البلدان**، ط٢، ٧ج، دار صادر، بيروت.

المراجع باللغة العربية:

- البلوشي، إبراهيم بن عطالله، (٢٠٠٤م)، **كرمان في العهد البويهي**، الإمارات العربية المتحدة: مجمع أبو ظبي الثقافي.
- الدوري، عبد العزيز، (٢٠٠٧م)، **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- صدّيقي، أمير حسن، (٢٠٠٧م)، **الخلافة والملكية في إيران في العصر الوسيط**، (ترجمة إحسان الثامري وتقديم عبد العزيز الدوري)، ألمانيا: منشورات الجمل.
- غضبان، علي حسن، (٢٠١٤م)، **البويهيون في فارس: دراسة في الأحوال السياسية والفكرية**، بغداد: دار ومكتبة عدنان.
- القيسي، ناهض عبد الرزاق، مراجعة عيسى سلمان، (٢٠٠٢م)، **النقود في العراق**، بغداد: بيت الحكمة.
- متز، آدم، (١٩١٤م)، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، (ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة)، القاهرة: بيت المغرب.

الرسائل الجامعية:

- **الزواهرة**، عمر، (٢٠١١م)، **العراق خلال عهد عضد الدولة البويهي**(٣٦٧-٣٧٢هـ/٩٧٨-٩٨٣م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليوموك، إربد، الأردن.
- طلفاح، مضر، (٢٠٠٦م)، **العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة البويهية (٣٣٤-٤٤٧هـ/٥٤٩-١٠٥٥م) وأثرها على الفكر السياسي السني**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

المجلات والدوريات العربية:

- التائب، إمحمد علي، (٢٠١٦م)، موقف الخلفاء العباسيين من التسلط البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م)، **مجلة فكر وإبداع المصرية**، مج٢، ع١٠.
- سعيد، عمر أحمد، شارك في التأليف حمدى، وجدان عبد الجبار، (٢٠١٣م)، الإمارة العقيلية في الموصل ودورها في التصدي للبويهيين (٣٨٠-٤٤٧هـ/٩٩٠-١٠٥٥م)، **مجلة دراسات موصلية في جامعة الموصل العراقية**، مج١٢، ع٣٩.

المراجع الأجنبية (الإنجليزية والتركية):

- Bosworth, Cilifford Edmund, (1973), **The Ghaznavids: their Empire in Afghanistan and Estern Iran**, Beirut: librairie du liban.
- Kabir, Maffizullah, (1964), **The Buwayhid daynasty Of Baghdad (334-447AH/946-1055AD)**, calculta: Iran society.
- Kraemer, Joel Lm, (1986), **Humanism in the renaissance of Islam: The cultural revival the Buyid Age,** Leiden: E.J brill.
- Lowes, B, Gibb, H, **The Encyclopaedia of Islam**,V, I, (1979), V, II, (1965), Brill, Leiden.
- Güngör, Aksu (2017), Gazneli Sultan Mahmud İle Karahanlı İlig Han'ın Horasan Mücadelesi, **Türk Dünyası Araştırmaları**, Cilt: 117 Sayı: 231 Sayfa: 115-126.
- Genç, Süleyman, Güz(2004), Halife el-Kâdir Döneminde Bağdat'ta Yaşanan Dini-Siyasi Hadiseler Ve onun Süni Siyaseti, **Marife**, sayı: 2, s. 219-243.

الملاحظات:

(١) آل بويه: احدى سلالات الديّلم حكمت في مناطق غرب ايران والعراق في الفترة الممتدة بين عامي (٣٢٠-٤٥٤هـ/٩٣٢-١٠٦٢م). يعود أصل السلالة البويهية في بعض الروايات إلى ملوك الساسانية، حيث استمدوا الاسم من بويه الملقّب أبو شجاع الذي أصبح من الشخصيات البارزة في عهد الدولة السامانية والزياريّة، تمكّن ثلاثة من أبناء أبو شجاع هذا من الاستيلاء على السلطة في العراق وبلاد فارس وخوزستان، وقام الخليفة العباسي حينها بالاعتراف بسلطتهم وتلقيبهم بألقاب السلطنة، وهم عماد الدولة (٣٢٠-٣٣٨هـ/٩٣٢-٩٤٩م)، وركن الدولة (٣٢٠-٣٦٥هـ/٩٣٢-٩٧٦م) وهو والد الملك عضد الدولة وجد الملك بهاء الدولة، ومعز الدولة أحمد (٣٢٠-٣٥٦هـ/٩٣٢-٩٦٧م). اتسمت الفترة البويهية في غالبها بالصراع على السلطة بين أفراد هذه الأسرة التي كانت نهايتها على يد دولة السلاجقة الأتراك أخيرًا.

(٢) فوض الخليفة العباسي سلطاته الدنيوية أي غير الدينية بمعنى آخر منذ سنة (٣٢٤هـ/٩٣٥م) إلى أمير الأمراء محمد بن رائق، ولكن بقيت للخليفة بعض الصلاحيات، فقد كان أمراء الأمراء يراجعون الخليفة، ويأخذون رأيه فيما يفعلون، وزال هذا الأمر تمامًا في الفترات التالية وتحديدًا بعد فترة حكم الملك البويهي معز الدولة.

(٣) وزر للطائع لله أربعة وزراء يشار لهم بالبنان، وهم على الترتيب، أبو الحسن علي بن جعفر بن نباتة، وأبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى، وأبو الحسن عيسى بن مروان، وأبو الحسن علي بن عبد العزيز ابن حاجب النعمان.

(٤) اختلفت الروايات في ضبط اليوم والشهر بين بدايات شعبان/آب أو في نهاياته، وبين شعبان ورمضان/ أيلول، إلا أنها أجمعت على السنة، ونعتقد أن الحادثة طانت في العشر الأواخر من شعبان؛ لأن رمضان له خصوصيته الدينية في التعامل أمام العامة مع مؤسسة الخلافة وبقية الرموز ذات السلطة الدينية، حيث نرى بأنه قد تم القبض على الطائع لله في شعبان، وإتمام أمر العزل والتولية في مستهل رمضان.

(٥) ومنها يقول: (بحر البسيط)

أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه
لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني
يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني
هيهات أغتر بالسلطان ثانية
قد ضل ولاج أبواب السلاطين

(٦) تجدر الإشارة كتاب الخلع قد كُتِب نصه كاملا وجُهِزَ للتوقيع عليه من قبل كاتب بهاء الدولة حينها، وهو محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الذي احتفظ بنسخة من هذا الكتاب في مكتبته، حيث وصلت هذه النسخة إلى حفيده المولود في (٤٣١هـ/١٠٤٠م) أبو الوفاء علي بن عقيل الذي نقلها لنا بدوره.

(٧) كان كاتبه الذي عينه بهاء الدولة هو أبو الفضل محمد بن أحمد عارض الديلم، وأستاذ الدار عبد الواحد بن الحسين الشيرازي.

(٨) يمين الدولة، أبو القاسم محمود بن سُبُكْتِكِيْن - محمود الغزنوي- هو حاكم الدولة الغزنوية في المدة من عام ٩٩٨م إلى ١٠٣٠م. كان لاكتسابه الشرعية من الخلافة العباسية أثر على فتوحاته وبداية مجادلته مع الساماني‌ين الذين لم يكونو راضين عن الدخول تحت مظلة الخلافة العباسية إبّان خلافة القادر بالله (Güngör, 2017, s:115-126)

(٩) في أحد الحوادث الطريفة الدالة على الهيمنة البويهية على دار الخلافة، أرسل القادر بالله بشخص يدعى أبا بكر الباقلاني إلى بهاء الدولة ليوصل له رسالة فقام بهاء الدولة بتعيينه على الفور قاضيًا على منطقة عُمان والساحل وإرساله إلى هناك.

(١٠) إن المصادر التي اطلعنا عليها لم توضح بصورة مباشرة موقف بهاء الدولة من محاولات القادر بالله بخصوص هذا المحضر الذي كان له الأثر الكبير سواء على العامة أو على قادة الدول من حوله، ولكن ذلك يبقى غير منطقي في ظل سطوة بهاء الدولة على مؤسسة الخلافة؛ فيبدو أن بهاء الدولة قد وافق القادر بالله على أن يتمم المحضر ويبث دعايته. ما يدعم هذا الرأي هو سيطرة بهاء الدولة على البريد في ذلك الوقت الذي سيُبعث عبره البيان، ومن الجهة الأخرى وقوف أشخاص مقربين من بهاء الدولة أمثال أبناء الشريف الموسوي وتوقيعهم على المحضر الذي بلا شك كان بعد مشاورتهم لبهاء الدولة بالأمر، وهذا يأخذنا كما أشرت سابقًا للتأكيد على ظهور القادر بالله واستعادته لبعض خصوصيات مؤسسة الخلافة.

(١١) مثال: من العلويين الرضي والمرتضى، ومن القضاة أبو عبد الله الأكفاني، ومن الفقهاء أبو أحمد الاسفراييني، وأبو عبدا لله الصميّري، وأبو عبد الله البيضاوي، ومن الشهود، أبو القاسم التنوخي... وغيرهم. انظر حول ذلك (الذهبي، ٢٠٠٣، ج٩، ص١١؛ سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٨، ص١٩٩).